



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اليوم الآخر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]... أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ أصدقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ :

يقول الله جل وعلا: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴿ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ [الزمر: 68-70].

في هذه الآيات الكريمة ذكرى للإيمان بيوم الله الآخر، للإيمان بيوم الميعاد الذي هو كائن لا محالة، فإن الإيمان بيوم الله الآخر ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان عبد حتى يعلم ويتيقن دون ريب ولا تردد أن ثمة يوماً يرجع فيه الناس إلى الله فيحاسب المحسن والمسيء، فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي المسيء بإساءته.

إنه في ذلك اليوم تنشر الكتب ويعرف المرء عمله فيكون المؤمن فرحاً مسروراً يأخذ كتابه بيمينه، ويكون الكافر أو الفاجر خائفاً وجللاً لا يدري ما يصنع به، وترفع النار فيساق إليها الكفار ورداً، يساقون إليها فيتهافتون فيها تهافت الجراد.

وأما أهل الإيمان فإنهم يتأخرون وكذلك الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً في أمر عصيب وتفصيل في ذلك اليوم حتى تقام

الظلمة دون الجسر وينصب الصراط على النار، والأنبياء يقولون وهم على الصراط: اللهم سلم سلم من شدة ما يرون من الهول، وكل لا يهيمه إلا نفسه، فإن المرء تممه نفسه، فيأتي أهل الإيمان بمشون على الصراط بقدر أعمالهم ويرون الصراط ودونه الظلمة لأنهم يعطون نوراً فيعبر بعض أهل الإيمان كالبرق سرعة، وبعضهم يعبره كالراكب، وبعضهم يمشي مشياً، وبعضهم يحب حيواً، والقلوب خائفة وجللة في أمر عصب لأن بعده عذاب سرمدي أو نعيم سرمدي.

والناس إذا عبروا على الصراط فمن ناجٍ مسلم، ومن مكردس في النار، فينقي الله أهل الإيمان في النار إذا لم يشأ أن يغفر لهم، ينقي ما في قلوبهم من الخبث لأن العاصي في قلبه خبث لا بد أن يطهر - إن لم يغفر الله له ذلك ويطهره بمنه وكرمه - فتكون عامة النار للكفار وتكون طبقتها العليا لأهل التوحيد يمكثون فيها زماناً طويلاً، وهم في عذاب شديد، عذاب شديد، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يشفع الشفعاء وتبقى شفاعة رب العالمين إلى آخر ما يحصل من ذلك.

وإذا جاوز أهل الإيمان القنطرة، إذا جاوزوا الصراط اجتمعوا دون الجنة فتأخر الأغنياء، تأخر الأغنياء عن دخول الجنة بنصف يوم، يعني بخمس مائة سنة، ويدخل الفقراء الجنة أول الأمر لأن حقوق المال عظيمة ولأن حقوق ما أتى الله عباده فيها أمر شديد وفيها حساب، فيؤخر الأغنياء حتى يُعطى الناس منهم حقوقهم، وعند ذلك يحصل بلوغ المنازل لهم ثم يدخل أولئك الأغنياء، يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمس مائة عام ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج:47].

أيها المؤمن: إن لله في ذلك كله أوامر فيرى المؤمن الذي يرى أمامه الجنة والنار، يرى أمامه تطاير الصحف ويرى أمامه الميزان والصراط وذلك الهول مما سمع في القرآن والسنة، يرى أن نفسه لا بد أن يلزمها بتقوى الله، والمؤمن الذي يعي ذلك فيجد نفسه عظيمٌ عليها أن يخالف أمر الله جل وعلا، يرى نفسه عظيمٌ عليها أن تخالف الحق أو أن تأتي الباطل، إن الاعتقاد بهذه النار وبوجودها وبأنه يدخلها الكفار وبأنه يدخلها العصاة إن لم يغفر الله لهم - وذلك في حق غير التائبين -، إن لم يشأ الله مغفرته لهم فإنهم يعذبون في ذلك، وعذاب النار من يصبر عليه.

ويتذكر المؤمن أن من أولئك الذين يعذبون من يقول الكلمة لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً، يلقي الرجل الكلمة وتلقي المرأة الكلمة لا تلقي لها بالاً تظن أنها سهلة وهي تهوي بها في النار سبعين خريفاً، وقد جاء أن من الناس من يقرب من الجنة فيلقي كلمة، يتكلم بكلمة لا يدري ما فيها يتباعد كما جاء في الأثر عن الجنة كبعد صنعاء عن المدينة، وهذا من شدة أثر الكلام لأنه نوع من أنواع ما يحاسب به العبد.

كذلك أعمال القلوب من الصالحات كالإيمان والتوكل والرغبة فيما عند الله وخشية الله والبكاء من خشية الله وكتعلق القلب بالله وبأوامره هذا يؤجر عليه فيسعى المؤمن إليه، وأعمال القلوب المحرمة يراها من الكبر وسوء الظن والمسلمين من غير حجة، وكذلك من أنواع الإعجاب بالنفس وتركية النفس ونحو ذلك من أعمال القلوب المحرمة يراها تعظم عليه، وقد قال بعض أهل العلم: رب طالح كان أعظم عند الله من فاعل طاعة، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: ذاك عمل بمعصية فلم تزل في قلبه عظيمة يتعاطمها في حق الله حتى يغفر الله له، وذلك صالح عمل بطاعة فما زال يتعاطم فعله ويعجبه ذلك ويتكبر به ولا يجمل من ربه

ويخاف منه حتى يحبط الله عمله.

فالأمر - أيها المؤمن لأنك مؤمن بالآخرة - الأمر خطير، والناس في غفلاتهم، وأعظم ما يعاقب به القلب أن يكون غافلاً لا يتذكر الجنة ولا يتذكر النار، لا يتذكر اليوم الآخر، تذكر قول الله جل وعلا: ﴿وجيء بالنبیین والشهداء﴾ [الزمر:69] يشهد النبيون والشهداء أنه قد أقيمت الحجة على عباد الله كما قال الله سبحانه: ﴿فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين﴾ [الأعراف:6] يسأل الله جل وعلا المرسلين: هل أدبتم؟ هل بلغت الأمانة؟ فيقولون: يا رب، اللهم قد بلغنا. ويسأل الذين أرسل إليهم: هل بلغت الأمانة؟ وهل أتتكم رسل فأعلمتكم بما أمرت ونهيت؟ فيقول الذين أرسل إليهم: نعم يا رب بلغنا، قال الله جل وعلا بعد ذلك: ﴿والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف:8].

أيها المؤمنون: إن الذي تثقل موازينه هو المفلح، والذي تخف موازينه هو الخاسر، وأنت رقيب على نفسك، والدنيا لن تنفعنا إلا إذا كانت ميداناً للطاعة، وإن غداً لناظره قريب، إن يوم القيامة لناظره قريب، وسيقول الناس يوم القيامة: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، سيرون ذلك حقاً حقاً، المؤمن يؤمن بذلك، ولكن عليه أن يكون إيمانه بذلك قوياً متيقناً، وأن يستحضر ذلك الإيمان، فإن استحضاره دائماً يقي المرء الهلكة، والهلكة ليست في الدنيا، وإنما الهلكة الصحيحة في الآخرة، ويأتي المؤمن وينظر إلى ساعة من ساعات عمره قضاهها في غير طاعة قال عليه الصلاة والسلام: ((فتقطع نفسه حسرات على أن أمضى ساعات من عمره ليست في طاعة الله))، ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ يوفى أهل الطاعة طاعتهم، يوفى أهل الإيمان درجاتهم، يوفون أجورهم.

وأما العصاة فأيضاً يوفون أجورهم ويعطون جزاء سيئاتهم ولا يظلم ربك أحداً، فيكون المؤمن عالماً أنه سيوفى عمله، فإذا كنت تقر بذلك ولا شك في ذلك ابدأ فاعمل اليوم إذا كنت تريد أن ترى ما يسرك، وحذار من شهوة تعقبك ندماً دائماً، حذار من شهوة مال أو من شهوة جاه أو من شهوة دنيا أو من شهوة نساء أو من شهوة طمع تذهب عنك لذة اليقين وتذهب عنك الأجر في الآخرة، بل وتحمل عليك من الوزر ما لا تطيقه.

أيها المؤمن: تذكر في كل حياتك قول الله تعالى: ﴿ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ يوفى كل أحد ما عمل، يوفى أهل السنة أعمالهم، ويوفى أهل البدع أعمالهم، ويوفى أهل الصلاح عملهم، ويوفى أهل السوء عملهم، والله جل جلاله حكم عدل ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت:46].

أيها المؤمن: إن الإيمان باليوم الآخر لا بد أن نتيقنه، وما يحصل فيه يجب أن يكون في قلوبنا من غير شك ولا مرية، نرى الجنة أمامنا دائماً لا تغيب عنا، ونرى النار بهولها وعذابها وما فيها، نراها دائماً لا تغيب عنا، وهذه العقيدة، وهذا الإيمان يشمر في قلب المؤمن الرجاء في أن يكون من أهل الجنة فيحمله رجاءه على طاعة الله ويخاف من عقاب الله سبحانه وتعالى وأن يلقى في النار فيلزمه خوفه بالرجوع والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى فالمؤمن لا يستقيم أمره إلا بين الخوف وبين الرجاء. فعليكم بلزوم تقوى الله أيها المسلمون فإن بالتقوى فخاركم ورفعتم يوم القيامة، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذکر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلاًزماً إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].